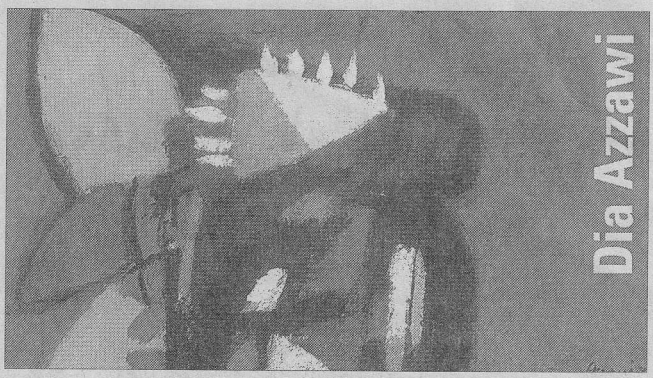

غلاف الدعوة الى المعرض في معهد العالم العربي في باريس.

"عشتار"، اكريليك على ورق، ١٠٢×١٣٦، ١٩٩٠ (من المعرض في غاليري ٥٠×٧٠ بيروت).

التشكيليّ العراقي ضياء العزّاوي تفتقده بيروت وتعرض له باريس

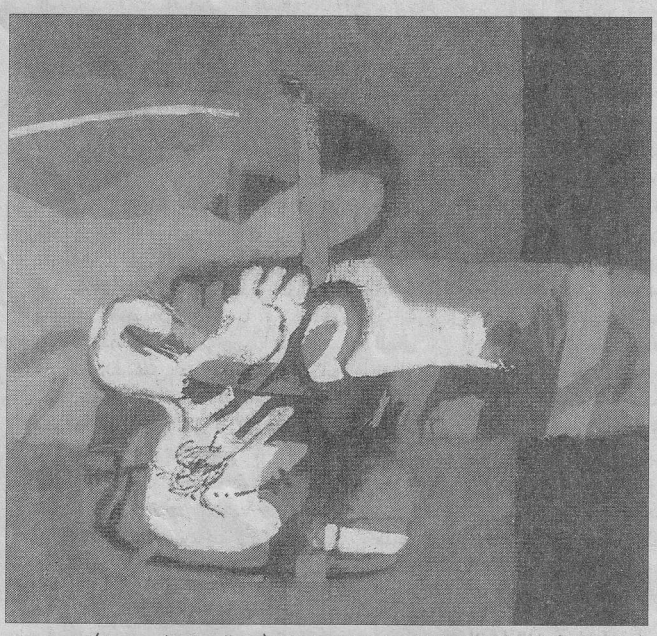

"سفر واحد"، اكريليك على قماش، ٩٢×٩٢، ١٩٩١ (من المعرض في بيروت).

لأصدقاء الفن العربي، اعجاب عميق الجذور بالتجربة التشكيلية للعراقي الكبير ضياء العزاوي الذي لم يغب الا حديثاً عن اماكن العرض الرئيسية في المدينة بعدما كان أطل منذ الستينات في أثنتين من كبيرات غالبرياتها، "وان" (يوسف الخال) و"كونتاكت" (وضاح فارس وسيزار نمور).

وله قريباً في باريس، في الحي اللاتيني، عند اطراف الدائرة الخامسة لجهة كلية العلوم، في شارع دي فوسيه – سان برنار، معرض تشكيلي ركائزه اعمال بمادة الاكريليك من احجام عدة يتوزع انجازها على اعوام غير محددة وبعضها يعود الى ما قبل المعرضين الاخيرين في غاليري ٥٠×٧٠ (نورا جنبلاط ومي مكارم) في بيروت ومطلع التسعينات، اي تواً بعد تجاوز المدينة الحروب الصغيرة التي كادت تغيبها.

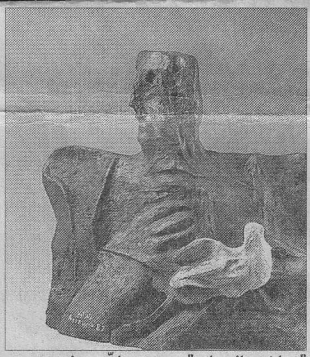

"عاشق السلام"، نحت ملوّن بطين نضج، ٤٧×٤٩×٢١، ١٩٨٧ (مجموعة متحف معهد العالم العربي).

يستمر المعرض من ٢٩ تشرين الاول الجاري الى ١٣ كانون الثاني ٢٠٠٢ في قاعة المعارض في معهد العالم العربي الذي يطفو مجدداً بعد صعاب كادت تترك عطباً فيه، وبعد احيائه تظاهرات مضيئة في السنتين الاخيرتين، في العاصمة الفرنسية التي تعرفت فيه الى العنوان الخصب للثقافة العربية زائد وجوه عريضة للحضارة الاسلامية. وتحمل تجربة ضياء العزاوي المفردات المنحازة ثقافة واختياراً الى هذين الانتماءين، المادي هنا والوجداني هنا كذلك، اللذين يضعان بطاقته الاصلية، رغم كل ما يقال عن اثر لندن المعاكس في انزلاق نصه الى خارج الدوائر التشكيلية التي جاء منها.

"الحالم"، أكريليك على قماش، ١٥٢×١١٨، ١٩٨٧ (مجموعة متحف معهد العالم العربي).

وسؤال مفيد عما بقي في لوعة ضياء العزاوي الحالية من تنشئته الاكاديمية في العلوم الاركيولوجية التي صقلت معارفه الاولى؟ ومعروف انه من مواليد بغداد ١٩٣٩، ومن متخرجي معهد الاثار في العاصمة العراقية عام ١٩٦٢، واضاف الى ذلك الفنون الجميلة عام ١٩٦٤. وفي الطريق الى تجربته الراهنة عبر في حقول امتزجت في حصادها الملامح النافرة المستعارة في تصرّف حادّ من فنون حضارات ما بين النهرين، بالملامح اشكالاً وتشكيلاً، وهي من الثقافتين الاسلامية والعربية ومركزة اساساً على الايقاع الحروفي سواء تمت الاستعانة بالحرف كوحدة شكلية، او بالكلمة كايقاع تشكيلي، او بالجملة ضمن نص كبنية قائمة داخل نبضها وكحالة بصرية جذابة للاغراء وللتحريض العاطفي في آن واحد.

***

في المرتين – بعد ١٩٩٠ – اللتين عرفت فيهما بيروت معرضاً لضياء العزاوي بدعوة من نورا جنبلاط وغاليري ٥٠×٧٠ مقفلة، ساد المدينة مثل احتفال بعودة فنان عربي من الذين انتموا الى بيروت الستينات، الى الاحتفال من خلاله بعودة باتت ممكنة لفنانين عرب تنتظرهم المدينة اذ هنا مكانهم وذاك دورها. لكن يومئذ، مع المعرض الثاني، ولا احد يعلم السبب حتى اليوم، منعت الحكومة اللبنانية ضياء العزاوي الموجود في دمشق من الدخول الى الاراضي اللبنانية وقيل يومذاك ان وراء هذا المنع رغبة الجمهورية الجديدة (الهراوي – الحريري – الحسيني) في ابقاء العاصمة محايدة بين الصراعات التي قد تحصل بين المدن العربية والتي قد يزجها فيها مثقفون لبنانيون وعرب يصعب مراقبة اقوالهم وافعالهم. وافتتح معرض ضياء العزاوي في غيابه، وكان معرضه الاخير له في لبنان!

ويومها تحدث عن وصول تجربته "الحروفية" – والعزاوي يرفض هذه الكلمة – الى جدار مقفل معلناً تخليه نهائياً عن هذا الربط الذي لا يقود الى حلول ذكية، بين التشكيل الحروفي والهوية العربية للعمل التشكيلي، وتزيّا معرضاه فعلاً بانحياز فاجر الى ملوانة حادة ونافرة وصدامية كأنها تبغي للفرجة التطرف في الملذات البصرية والتعابير النوارة. وفي احاديثه مثل قطاف العبر من سكنه في مدينة لندن منذ ١٩٧٦ وفيها المحترف الذي يعمل فيه الى اليوم. وكأنه يقول ان الفنون تجاوزت المعاني الضيقة للحدود في انتماءاتها. فهي من الانسان الفرد والية، شرط ان يتحلى المبدع بعين كبيرة عميقة عريضة وخصبة وان تعيد انتاج الفرجة وعناصرها على المستوى الذي يلونها بخصوصية طائرة.

***

وسؤال يرافق معرضه بعد ايام قليلة في معهد العالم العربي: بأي اعمال سيبني ضياء العزاوي معرضاً يغطي اعواماً طويلة؟ وهل سيستعيد قطعاً من التجارب الحروفية والاركيولوجية؟ ام ان عمارة معرضه ستركز على لوحاته المنحازة الى تفلت كامل من التفاصيل التراثية التي نجح دوماً في السابق في دمجها في صميم تصاميم تشكيلية بين الغرف من الماضي والتفاعل الحر مع حداثة تم تذجينها تبدو عربية الهوية؟ وضياء العزاوي لمن يعرفه، فنان غير قابل للتسويات، ولا يقول اليوم عكس ما قال امس، ولا ينجز سوى ما يطفو على سطح يقيناته، وملون بالملامح الصادقة ان رسم او نحت او كتب، وكمن يرشح بعرق جهد يستمر منذ اكثر من اربعين عاماً وراء اطلاق تجربة قد تبدو منفصلة الجزئيات ولكنها لمن يحسن القراءة التشكيلية متلاحمة حتى العظم في زمن الازمات الكبرى التي يمر فيها الابداع العربي.

وبعدما استقبلت كباراً امثال ضياء العزاوي وشاكر حسن السعيد (العراق) ويوسف عبد مكي ومروان واحمد معلا (سوريا) ومحمد عمر خليل واحمد شبرين (السودان) وعادل السوي وفاروق حسني وآدم حنين (مصر) ومنى السعودي (الاردن) وجمال عبد الرحيم (البحرين)، تغرق بيروت اليوم في غياب جلي للمعارض الفردية ذات الاثر العميق في مسيرة مدينة تعيد بناء فضائها العربي والمتوسطي. ويصل الفراغ هذا الى الميدان البلدي حيث لا دور لكبار روّاد ومخضرمين وجدد كأنهم نزلوا في صمت ابتعلهم!

نزيه خاطر